مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 10 عدد: 2 السنة: 2021
ص: 236 - 247 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

النظرية النحوية العربية واللسانيات المعاصرة: قراءة في ثنائية القطيعة والامتداد

Arabic Grammar Theory and the Contemporary Linguistics

* أ.د رزايقية محمود
REZAIGUIA MAHMOUD
جامعة أحمد بن يحي الونشريسي، تيسمسيلت ـ الجزائر
University of ahmed ben yahya elwansharissi –tissemsilt (ALGERIA)
abousoltane141@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/11/05	تاريخ القبول:2021/01/17	تاريخ النشر: 2021/06/02

ملخص البحث

تقومُ هذه الدراسةُ على افتراض مؤدّاه أنّ **نظرية النحو العربي** كانت دائمة الحضور في **اللسانيات المعاصرة،** وقد دار النقاشُ حول طبيعة العلاقة الممكنة بين التراث النحوي واللسانيات، حيث أفرزت هذه الإشكالية مواقف متباينة تجاه التراث النحوي العربي: موقفٌ تشبّث بالتّراث النحوي، وموقفٌ تبنّى أُسُس اللّسانيات القائمة على الوصف والتجريب، وموقفٌ ثالثٌ حاول التوفيقَ بين النظرية النحوية العربية واللّسانيات المعاصر.

والحقيقةُ أن لا يشكّ عاقلٌ في حضور مبادئ البحث اللغوي العربي في ثنايا النظريات اللسانية المعاصرة؛ إذ العيّنات كثيرة ودالّة على مدى اطّلاع علماء الغرب على تراثنا اللغوي العربي، ومدى معرفتهم بعلوم العربية وأنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

والحضارة الإنسانية بملكتها الثقافية ترفض القطيعة المعرفية المفترضة بين الحضارات والثقافات، كما أنه لا توجد في اللسانيات قطيعة أصولية إبستيمولوجية تفصل ماضي الدرس اللساني عن حاضره . وبهذا الشرط المنهجي تستطيع الدراسات اللغوية المعاصرة أن تستضيء بالمناهج والآليات الحديثة لدراسة التراث النحوي العربي على أن لا يتمّ ليُّ ذراع التراث اللغوي العربي بقوة وصرامة لمسايرة معطيات اللسانيات الحديثة .

وفي ظلّ هذه المقاربات وهذا الامتداد الفكري يمكن أن ننظر إلى صلة النظرية النحوية العربية باللسانيات المعاصرة من خلال القراءة المتأنية في الأسس والأصول النظرية .

* رزايقية محمود: abousoltane141@gmail.com

الكلمات المفتاح : نحو،لسانيات، تراث، نظرية، منهج.

Abstract :

This study is based on the theory that Arabic grammar has always been present in contemporary linguistics.The discussion revolved around the nature of the relationship between grammatical heritage and contemporary linguistics, where positions emerged.Among them: a position that clung to the grammatical heritage, a position to adopt linguistics based on description, and a third position that tried to reconcile grammatical theory with contemporary linguistics. There is ample evidence for Western scholars' knowledge of Arabic sciences: its phonological system, its syntax, grammar, and its semantics. Modern linguistic studies can rely on some approaches to study Arab grammatical heritage. We can learn about the relationship of Arabic grammar theory with contemporary linguistics through the following questions:

1- What is the nature of this link, and how do we view it?

2- What are the grammatical efforts and their role in enriching linguistic theories?

3- To what extent are contemporary linguistics influenced by grammatical heritage?

Keywords: Syntax, linguistics, heritage, theory, method

مقدمة:

يُعدّ النحوُ العربيُ من أعظم العلوم العربية أصالة، وأوسعها مادة، وأغزرها تراثاً. ولا شكّ أنّ تراثنا النحوي العربي ارتقى مرتقًى عالياً في التفكير النحوي، ويتّضح ذلك من خلال القدرة على تجريد المفاهيم، واستنباط الأحكام، والقدرة على التعليل والتحليل.

يشهد القرن الحالي والقرن العشرون قبله نشاطا متميزا في مجال الدراسات اللغوية والنحوية، حيث قام علماؤنا المحدثون بالاطلاع على النظريات اللسانية الغربية الحديثة، كما ظهرت عليهم أماراتُ التأثّر بالوافد الجديد، ممّا حدا بهم إلى الكشف عن تصوّرات جديدة تسعى إلى إعادة صياغة التراث النحوي العربي، وذلك بنقده، ومناقشة طُروحاته من جهة، والتشكيك في منطلقاته، وتوصيفاته، وتعليلاته من جهة ثانية؛ بحجّة أنّها لا تتماشى وما وصلَ إليه الدرسُ اللسانيُ الحديث.

وبعد هذا التأثّر بالنظريات والمناهج اللسانية الغربية ، سلكت بحوثُ النحاة في مجال الدرس النحوي اتجاهين: الاتجاه الأوّلُ تقليدي تراثي ، والاتجاه الثاني حداثي تجديدي بمناهج غربية.

والموقفُ من نظرية النحو العربي في ظلّ اللسانيات الغربية أفرز مواقف متباينة؛ فمنهم من يرى أنّ النحو العربي هو النحو القديم المتوارث، ومنهم من يرى أنّ النحو الحقيقي هو الذي يكون له منظور حديث، والموقف الثالثُ موقفٌ موضوعيٌ يربط النحو العربي باللسانيات الحديثة لوجود مقاربات وامتداد فكري في تاريخ الدرس اللغوي.

عود على بدء يمكننا أن نحاور التساؤلات الآتية:

1-ما أسس وأصول النظرية النحوية العربية؟

2-ما طبيعة الصلة بين نظرية النحو العربي واللسانيات المعاصرة، وكيف ننظر إليها؟

3- ما مدى تأثر النظريات اللسانيات الحديثة بالتراث النحوي العربي؟

أولاً: أصول نظرية النحو العربي:

لكلمة " الأصول" في الفكر العربي الإسلامي معان كثيرة، يجمعها معنى " قضايا العقول : وهي القواعد الأسس التي يُبنى غيرُها عليها، والأصول التي يرد ما سواها إليها "[1]. وبهذا نظر النحاةُ في الظواهر اللغوية فبيّنوا القواعد على الأكثر، ثم جرّدوا أصولا نظرية شدّوا فيها من أزر القواعد، فجعلوا لكلّ باب نحوي أصلاً عامّاً، ينتظم ظواهره كافة، إذ وجدوا للباب عدة أبواب متشابهة العمل، جعلوا واحدة منها أصلاً تتفرع عليه سائرُ أدوات الباب... "[2].

ومعنى ذلك أننا نبحث في المؤسسات الكلية للنحو العربي، والتي تفسر عناصر "التأصيل والتقعيد والتعليل "؛ أي أنّ الأصول نظرياً تتجاوزُ حالات الرفع والنصب والجرّ والجزم.

وهي أصولٌ ثابتةٌ اعتمدها النحويون العربُ مع عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي والخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، وغيرهم من العلماء العباقرة. ويمكن تحديد هذه الأصول فيما يلي:

أ- اللّسان الذي نزل به النصُّ القرآني(السماع):

نزل القرآنُ الكريمُ بلسان العرب، وخاطبهم به " على حسب ما يُخاطبُ به بعضُهم بعضا، على ما يتعارفون بينهم... فإذا جاء في القرآن من خطاب الله للعباد على ذلك التقرير، فلا نُكر فيه؛ بناء على أنّ كتاب الله أُنزل على قانون كلام العباد ".

فالخطابُ القرآني درج في ألفاظه معانيه على ما تكلّمت به العربُ من طرق البيان أساليب التعبير.

ب ـ استقراء كلام العرب:

كلامُ العرب حجّة على جميع متكلمي العربية، وله قوة الاحتجاج في بناء القاعدة النحوية، فلا تجد " مسائلهم التي يحتجون بها على القاعدة إلا على مقتضى ما استقرءوا من كلامهم، لا على أمر مقيس عُدم فيه السماع. فالقاعدة مبنية على التفسير بعد السماع، كما قال سيبويه (قف حيث وقفوا ثمّ فسّر)، وأمّا إذا لم يكن في المسألة سماع، فلا يقول بالقاعدة مطلقا أحدُ المحققين... "[3].

كان اللغويون والنحاةُ العربُ يتتبعون كلام العرب ويستقصونه، ليستخرجوا طرائقهم وسننهم في الكلام؛ فاللغةُ والنحوُ لا يُثبتان بالرأي، وإنما مناط الأمر إلى السماع.

ج ـ المنهج الوصفي التقعيدي:

محاولة النحويين استقراء كلام العرب، ومعرفة معهودهم في الكلام، فإذا ما اختلطت اللغات وانتشر اللحن، وبدأ الناطقون بالعربية يبتعدون عنها، وجدوا ما يركنون إليه للرجوع إلى الجادة. يقول ابن خلدون: " فتغيرت تلك الملكةُ بما ألقى إليها السمعُ من المخالفات التي للمتعربين. والسمعُ أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقي إليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتياد السمع، وخشي أهل العلم منهم ن تفسد تلك الملكةُ رأساً، ويطول العهد بها، فينغلق القرآنُ والحديثُ على الفهوم؛ فاستنبطوا من كلامهم قوانين لتلك الملكة، مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها أنواع الكلام ، ويلحقون الأشباه بالأشباه "[4].

وعلى أساس هذه الوظيفة المنهجية في ضبط اللسان العربي تأسست النظرية النحوية العربية.

د ـ القياس على السماع:

من المتعارف عليه أنّ النظرية النحوية بُنيت على أصول وركائز، وهي: السماع والقياس والعلل والعوامل والإعراب، ولكن أهمّ ركيزتين هما: السماعُ والقياسُ، وأنّ حركات الإعراب هي آثارٌ لعوامل لفظية ومعنوية، وهذا يستلزم تعليلا وتحليلا لكلّ ظاهرة لغوية ونحوية.

هـ مركزية العامل النحوي:

ومن المسائل المهمة في إرساء دعائم نظرية النحو العربي:(العامل النحوي)، " فنحن أمام أخبار كثيرة عميقة الدلالة على أنّ هؤلاء النحاة قبل الخليل وسيبويه كانوا في استنباطهم قوانين الكلام يهتمون بتحليل التراكيب بالقرائن اللفظية، ليربطوا بينها وبين الحركة الإعرابية معتمدين على فكرة العامل بالتضمين لا بالتصريح"[5].

إنّ موقف النحاة من هذه الأصول في نظرية النحو العربي، وتحكيمها في جدلهم قد أبعدهم عن بناء النحو العربي على أسس تقترب من(الوصفية)، وكان من الأولى أن يدرس الخلاف النحوي برؤية لغوية حديثة لإعادة تشكيل الخطاب النحوي.

إنّ دراسة اللغة والنحو عند العلماء العرب القدامى كانت دراسة لسانية بحق تقف على أسس علمية ، فعملهم " علميٌ دقيقٌ، يعوّل على الملاحظة والاستقراء، والإفراط في الحيطة... حتى لنستطيع أن نكون مطمئنين إلى أكثر ما استنتجوه من خصائص لغتنا "[6].

لهذا كان ينبغي على المعرفة اللسانية الغربية أن تؤرخ للتفكير اللغوي العربي ضمن التفكير اللغوي الإنساني، وأن يعطى للتراث اللغوي العربي مكانته اللائقة به؛ فقد تأكد مع مرور الزمن أنّ العرب قد سبقوا الغرب إلى بعض النظريات اللسانية، ولن يصل الغربيون إلى بعضها الآخر إلّا بعد أمد طويل[7].

وهكذا، ظلّت النظرية النحوية العربية التي تضمّنتها مؤلّفات المتقدّمين صامدة ما يقارب أربعة عشر قرناً؛ ولم يُكتبْ لأيّ محاولة للخروج عنها أو نقدها حظٌّ من القبول، نظرا لقوّة هذه النظرية، وتماسكها، وقابليتها للتطبيق.

ثانياً: حضور نظرية النحو العربي في الدرس اللساني المعاصر:

إنّ البحث في النّظريّة النّحويّة العربيّة في الفكر اللّساني الحديث يكشف لنا عن مدى حضوره، كما يكشف عن توجّهات الدراسات اللغوية في مؤلّفات اللغويين واللّسانيين العرب المحدَثين؛ إذ تمثّل نماذج متنوعة وموادّ غنية للدّراسة والتّحليل، وبالخصوص ما تعلّق منها بدراسة وتقييم تراثنا النحوي، وإعادة وصف العربية بأدوات ووسائل جديدة لم تكن في متناول النّحاة القدامى .

وقد كانت قضيّة إعادة قراءة النّظرية النّحوية العربيّة و"تقويمها"، من أهمّ القضايا الّتي عرض لها اللغويّون واللّسانيّون العرب المحدثون فيما كتبوه، وما قدّموه من أفكار وآراء جديدة استلهمومها من مقولات الدرس اللّساني الحديث.

ويرى أحد الباحثين أنه لو التفت الغربُ إلى التأريخ اللغوي للتراث العربي لكان علمُ اللسانيات الحديث في مرحلة متقدمة عن الزمن الذي هو فيه؛ لأن جهود العلماء العرب في مجال البحث اللغوي تمثّل مرحلة النضج للفكر اللغوي والحضاري العالمي آنذاك.

وقد كان اهتمام علماء الغرب شاملا للتراث الإنساني بما فيه التراث العربي، فالعديدُ " من العلماء الغربيين قد أولوا تراثنا العربي اهتماماً واعتباراً، وجاءت جلّ أعمالهم من العمق والتحليل والدراسة في لغتنا العربية، ما مكنهم من الوصول إلى هذه الإجابات، إحاطتهم الواسعة باللغات السامية الأخرى، ومن ثمّ جاءت دراساتهم في الربط بين التراث اللغوي العربي القديم ونظريات البحث اللغوي الحديث، فقد جاءت هذه الدراساتُ على نحو من الدقّة"[8].

لا يشكّ عاقلٌ في حضور مبادئ البحث اللغوي العربي في ثنايا النظريات اللسانية الحديثة، وهذا ما تناوله البروفيسور عبد الرحمن الحاج صالح في مجلة " اللسانيات" من خلال المحاورة التي أجراها الدكتور مازن الوعر مع نعوم تشومسكي، وقد كشف هذا الأخير عن مدى تأثير البحث اللغوي العربي في الدرس اللّساني الغربي الحديث.

في هذا الصدد يقول مازن الوعر: " نعتقد نحن العرب أنّ الجهود التي بذلها اللغويون العرب في علم اللسان البشري في العصور المتقدمة إنما هي جهود مهمة أسهمت إلى حد كبير في بناء علم اللسان الحديث. ما هي آراؤك حول هذه القضية؟ أجاب تشومسكي: قبل أن أبدأ بدراسة اللسنيات العامة كنت أشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية، وما زلت أذكر دراستي للآجرومية منذ عدة سنوات خلت، أظن أنها أكثر من ثلاثين سنة، وقد كنت أدرس هذا مع الأستاذ فرانز روزنتال الذي يُدرّس الآن في جامعة بال... لقد كنت مهتما بالتراث النحوي العربي والعبري الذي نشأ، في بعض ما كنت قد قرأته من تلك الفترة، ولكنني لا اشعر أنني كفؤ للحديث عن البحوث اللسانية التي كان العرب قد أسهموا بها لبناء علم اللسان الحديث"[9].

وتسير المحاورة بأسئلة كثيرة عن معرفة تشومسكي للنحو العربي، يقول: " إنّ دراستي المبكرة كانت متعلقة بدراسة النحو العبري في العصور الوسطى، فقد كان والدي مختصا في النحو العبري

والعربي في القرون الوسطى... فقد درستُ النحو العربي الحديث كما درست النحو العربي في القرون الوسطى..."[10].

إذاً تشومسكي يمثّل تلك العيّنة الدالة على اطلاع علماء الغرب على تراثنا اللغوي العربي، ومدى معرفتهم بعلوم العربية، وأنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

حاول تشومسكي أن يجمع شمل اللسانيات المتناثرة، فهو يرى أنّ اللسانيات الحديثة " انقطعت بطواعية عن النظرية اللسانية التقليدية، وحاولت إنشاء نظرية لغوية بكيفية جديدة كلّ الجدة ومستقلة. ولم يهتم اللسانيون المحترفون إلا قليلا بالإسهامات المقدمة إلى النظرية اللسانية من قبل التقليد الأوروبي السابق... وأن يجعلهم مدركين للمسائل التي أثارتها الدراسات اللسانية الأكثر قدما، والتي أوصلت إلى النتائج المحققة إلى حد الآن، وما زلنا إلى اليوم نجهل كثيرا إسهامات الماضي..."[11].

هو نقدٌ صريحٌ يوجهه تشومسكي إلى اللسانيين المحدثين، ويُمكّن للتراث اللساني العربي مكانته، وكأنه يرفض القطيعة المعرفية المفترضة بين الدرس اللساني القديم والدرس اللساني الحديث.

ثالثاً: مواقف اللسانيين العرب من النظرية النحوية العربية:

لقد كثر الحديث عن ارتباط النحو العربي واللسانيات الحديثة؛ إذ يمثّل النحو العربي الأصالة، أما اللسانيات فهي منبع الحداثة، فظهرت ثنائية الموروث والحداثة في مجال اللغة، وأصبح موضوع علاقة التراث اللغوي العربي باللسانيات يشغل بالَ الكثير من اللُّغويين المحدثين.

والمتتبِّع لمشهد الدرس اللساني العربي الحديث يلحظ أنه مُقسَّم إلى ثلاثة مواقف:

الموقف الأول(أنصار النحو العربي):

هو فريقٌ أخذ النحو العربي دراسةً وتفصيلًا، وذلك باسم المحافظة على الموروث، فهو تيّارٌ متمسِّكٌ بكلّ ما ورد في النحو العربي، ورافضٌ لكلّ ما يُقدِّمُهُ الدّرسُ اللّسانيُ الحديثُ. ويؤمن أصحابُ هذا التيّار بوجود نظرية لغوية ونحوية علمية في التراث العربي ، وهي في حاجة إلى تسليط الضوء عليها وإعادة تفعيلها .

وقد سعى أعلامُ هذا الفريق إلى محاولة مقابلة مقولات التراث اللغوي العربي بالنظريات والمناهج اللسانية الحديثة . وتمثّل لهذا الموقف بالمشروع اللّساني الذي قدّمه الدكتور عبده الراجحي في مجمل كتاباته، ونذكر منها على الخصوص: (فقه اللّغة في الكتب العربية) وكتاب(النحو العربي

والدرس اللساني الحديث ـ بحث في المنهج)، إذ يحاولُ أن يجسّد فكرة التوفيق بين التراث النحوي العربي والدّرس اللّساني الحديث .

ويرى الراجحي أنّ نجاحنا في فهم تراثنا اللغوي يستدعي قراءته من الداخل بأدواته، ممّا يساعد في بناء نظرية كاملة في البحث العلمي، وهو واجبٌ علميٌ وقومي ، كما في قوله : " الاتّصال بالتراث من ناحية، والاتّصال بالمنهج الحديث في تطوّره السريع من ناحية أخرى واجبٌ علميٌ وواجبٌ قوميٌ، لا ينبغي أن يكون في ذلك خلاف، ولعلّنا من البحث في المنهج أن نصل يوماً إلى منهج علمي لدراسة العربية"[12].

أمّا عبد الرحمن الحاج صالح فقد كان له فهمٌ أعمقُ للتراث اللغوي العربي من خلال ما يعرف بـ (النظرية الخليلية الحديثة). ومن يتتبّع الأبحاث التي قدّمها الحاج صالح يلمس اتجاهه اللساني في إثبات أصالة التراث اللغوي .

ويرى حسن خميس الملخ أنّ الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح كان يقوم بإعادة تركيب المقولات العلمية القديمة وفق المفاهيم المتداولة ، فهو يهدف إلى " إعادة قراءة التراث العربي فحسب، وإنما بدراسة إبستيمولوجية دقيقة لمفاهيم النحاة وتصوّراتهم وطرائق تحليلهم ..."[13].

الموقف الثاني(أنصار اللسانيات):

هو فريق أخذ تفصيل القول في أحد التيارات اللسانية الحديثة، وذلك باسم التفتُّح والترحيب بكل ما هو جديد، وهو تيار لساني عربي متخصِّص في الموروث اللغوي/النحوي، لكنهم قرؤوا عن اللّسانيات، وتثقَّفُوا وفُتنوا بها مجاراةً لموضة العصر الحديث، فقدَّمُوا أنفسهم بوصفهم لسانيِّين. فهم يدعون إلى " إعمال اللّغة الواصفة المستمدة من اللّسانيات الغربية "، وأنّ " الآلة الواصفة عند النحاة القدامى ليس لها أيّ امتياز في وَصْف العربية، بل هي غير لائقة في كثير من الأحوال"[14].

ويعدّ عبد القادر الفاسي الفهري من أشدّ أنصار القطيعة مع التراث اللغوي العربي في الدرس اللساني المعاصر، فهو يرى أنه من الخطأ " الاعتقاد أنّ الآلة الواصفة للغة العربية الحالية أو القديمة تحتاج ضرورة إلى مفاهيم القدماء وأصولهم، أو بعبارة أخرى إلى الفكر النحوي العربي القديم، وقد بيّنا في عدّة مناسبات أنّ هذا التصوّر خاطئٌ، وأنّ الآلة الواصفة الموجودة عند القدماء ليس لها أيّ امتياز في وصف العربية، بل هي غير لائقة في كثير من الأحوال "[15].

يحاول الفاسي الفهري تصحيح بعض التصوّرات الخاطئة في نظره، والمتمثلة في أنّ النحو العربي قد حقّق كفاية علمية لدراسة اللّغة، وأنّه يتعيّنُ علينا قراءة هذا التراث اللّغوي وعرضه في صورة جديدة. فهو يرفض رفضا قاطعاً أن يكون للنظرية النحوية هذه القدرة الهائلة التي تمكّنها من الإحاطة بالظاهرة اللغوية، أو أن تتمكّن من تفسير اللغة. يقول: " فمهما كانت قيمة الأنحاء التي وضعها القدماءُ أو المحدثون لهذه اللغة أو لغيرها، فإنّ هناك حاجة إلى إعادة بناء أنحاء أخرى؛ أي آلات أخرى تصف معطيات أخرى وتتنبّأُ بها "[16].

وبالتالي كان موقف الفاسي الفهري واضحا من التراث العربي عموما ومن النحو العربي خصوصاً، وقد عبّر عن هذا الموقف بقوله : " لا ضرورة منهجية ولا منطقية تفرض الرجوع إلى فكر الماضي وتصنيفاته لمعالجة مادّة معيّنة ". وكان يلحّ على تبنّي منهج لساني حديث لوصف اللغة العربية وتفسير بنيتها.

الموقف الثالث(أنصار الوسطية والاعتدال):

موقف هذا الفريق هو التوسُّط بينهما، فدرس أوجه التشابُه والاختلاف بين النظرية النحوية العربية والنظريات اللسانية الحديثة، وحاول هذا التيار إظهار مواضع التلاقي والتناظر بين النحو العربي واللسانيات الحديثة في مختلف صورها (اللسانيات البنيوية، واللسانيات التوليدية التحويلية)، إنه فريق قام على فكرة الربط بين جهود العلماء العرب القدامى في دراسة النحو العربي والنظريات اللغوية الحديثة، وتقديم صورة عن مدى ترابط والتقاء التراث اللغوي القديم والبحث اللغوي الحديث، فكان هدفه الرئيس هو إقامة محاورة بين التفكيرين: الأصيل والمعاصر.

يرى الدكتور هادي نهر أنّ العلاقة التنافرية بين النحو التراثي واللسانيات، والتي أراد بعض الباحثين أن يسوق لها إنما هي صراع مفتعل تنفيه قاعدة التطور الملازمة لأي فكر عربي وإنساني، ويخلص إلى أنّ الحل للخروج من هذه الوضعية " أن يستمر النحو العربي في تطوير مناهجه ليكون متواص لاً مع الحداثة بشرط ألا يتمّ ذلك على حساب الانقطاع عن الأصول"[17].

إنّ النقد اللساني الموجه للنظرية النحوية العربية يفرض على العلماء إعادة قراءة التراث النحوي العربي قراءة جديدة، إلّا أنّ هذه القراءة لا تعني " إعلاء شأن اللغويين العرب، بما يكونون قد التقوا فيه مع نتائج البحث اللغوي في الغرب والشرق، كما فعل التيارُ الوسطُ من اللغويين العرب

المعاصرين الذي انتهى —من غير قصد– إلى تناقض مذهل، فيجعلُ السابقَ لا حقاً، واللاحقَ سابقاً..."[18].

وبالتالي يكون تراثنا اللغوي العربي في حاجة إلى إعادة قراءة ، ولكن هذه القراءة لا تعني بالضرورة إسقاط المناهج اللسانية الحديثة على التراث اللغوي. وهذا ما يعبّرُ عنه عبد الرحمن الحاج صالح بقوله: " إنّ المقصود من قراءة التراث ليس هو إسقاط المذاهب والنظريات الحديثة على المذاهب العربية القديمة، إذ لا نريد النظر فيما أخرجه القدامى، وفي أعيننا نظاراتٌ خاصة بالعصر الذي نعيش فيه، فنطمس الرؤية القديمة بالرؤية الجديدة ... "[19].

فينبغي لنا أن نجتهد إلى فهم النظرية النحوية العربية بشكل صحيح، كما ينبغي السعي الحثيث لفهم اللسانيات الحديثة؛ إذ لا يمكن أن تكون اللسانياتُ عائقاً أو تهديداً للنظرية النحوية العربية، بل هي وسيلة علمية لاستنطاق مكامن النحو العربي وتفحص قضاياه وإزالة ركام الغبش والتعقيد الذي يحول بينه وبين المتلقي/المتعلّم.

خاتمة:

يُعدّ البحثُ في تأثير النظرية النحوية العربية في اللسانيات المعاصرة، ومدى حضورها في المناهج والنظريات اللسانية الحديثة من الدراسات المعمّقة التي تحتاجُ إلى زاد علمي ومعرفي، وإلى بصيرة ثاقبة، وإلى إحاطة بالمناهج والآليات اللسانية المعاصرة لإعادة قراءة التراث اللغوي والنحوي العربي.

وقد توصّلنا إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

1 ـ ضرورة إعادة قراءة الفكر اللغوي العربي، ومنه النظرية النحوية العربية، بغية استثمار منجزها العلمي في تطوير اللسانيات العربية الحديثة.

2 ـ النظرية النحوية العربية تتّسم بسمتين رئيسيتين هما: القدرة على التجريد، والقدرة على التقعيد. والقدرة على التجريد تفرض علينا التزام منهج فكري يعتمد على النظرة الكلية كي نستطيع إصدار أحكام شاملة تتناول المادة اللغوية كاملة، من دون أن يشتت فكره ذلك الركام الهائلُ من جزئيات المادة.

أمّا القدرة على التقعيد، فهي المقدرة على صياغة الظواهر على الرّغم من تشابكها وتنويع علاقاتها، وهذا حتى لا تتصف القاعدة بالقصور.

3 ـ ينبغي أن نفصل مسألة مقاربة التراث النحوي العربي عن مسألة التأصيل والدفاع عن الخصوصية، وأن يوصل البحثُ بالنظام اللغوي العربي العام وباللسانيات الحديثة.

4 ـ التأكيد على أنّ مظاهر النظر اللغوي الحديث ونظرات النحويين العرب القدامى تلتقي وتتقاطع في كثير من المحاور، ممّا يدلّ على العلاقة الاستمرارية بين الدرسين اللغويين، وبين الخطابين اللسانيين.

5 ـ لا يمكن تطبيق معطيات اللسانيات الحديثة على نظرية النحو العربي تطبيقاً صارماً؛ وذلك لاختلاف السياق الحضاري، واختلاف الأدوات، واختلاف المنهج.

6 ـ الخلاصة التي تفرض نفسها في الدرس اللغوي العربي، هي قدرة نظرية النحو العربي على وصف ظواهر اللغة العربية من خلال المقولات النحوية لأعلام النحو العربي قديما وحديثا.

هوامش:

[1] الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، العربية السعودية، ط1، 1412هـ، ص 373.

[2] الملخ حسن خميس، نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، دار الشروق، عمان ن الأردن، ط1 ، 2001، ص 25.

[3] الشاطبي أبو إسحاق، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، وعبد المجيد قطامش، وإبراهيم البنا،معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، مكة المكرمة، السعودية، ط1، 2007م، 59/3.

[4] – ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، بيروت، لبنان، 1975م، ص 403.

[5] شرح المفصل، ابن يعيش موفق الدين، مطبعة الطباعة المنيرية،مصر، ط1(د.ت)،ص 546.

[6] صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط14، 2000م، ص 110.

[7] ينظر: أكرم عثمان يوسف، دراسة في المنهج الصوتي عند العرب، مجلة الموقف الأدبي، العدد: 135، دمشق، سوريا، 1982،ص 57.

[8] البهنساوي حسام، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1994م، ص 9.

[9] الحاج صالح عبد الرحمن، مدخل إلى علم اللسان الحديث(بحث)،مجلة اللسانيات، معهد العلوم الصوتية واللسانية،الجزائر، 1971م، ص 77.

[10] مجلة اللسانيات، ص 78.

[11] إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية،القاهرة، مصر، ط8، 2003م، ص 34.

[12] الراجحي عبده، النحو العربي والدرس الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1 ، 1988م، ص7

[13] الملخ حسن خميس، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين ، ص 224.

[14] الفهري عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية–نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2000، ص 60.

[15] الفهري عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية ـ نماذج تركيبية ودلالية، ص 60

[16] الفهري عبد القادر،اللسانيات واللغة العربية، ص 53.

[17] علوي حافظ إسماعيلي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات،الدر العربية للعلوم ناشرون،بيروت، ط1، 2009م، ص 298.

[18] بشر كمال محمد، علم اللغة العام(مقدمة المراجع)،دار المعارف، مصر،1962م، ص 10.

[19] عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2007، ص 8